
بنات الخائبات

بنات الخائبات

علي السباعي

الطبعة الأولى 2014

عدد الطبع 1000

عدد الصفحات 48 - القياس 14.5 × 21.5

ملاحظة: لوحة المجموعة للفنان التشكيلي العراقي محمود فهمي عبود

تنفيذ وإخراج صفحات للدراسات والنشر - سورية



موبايل: 07905139941

hamawendi@yahoo.com

mazin24@ymail.com

علي السباعي



قصتان قصيرتان

2014

فـرائسُ بثيابِ الفرح

.... ما كنتُ يوماً قاطعَ طريقِ لكثرة تعثري بظلـي، فتمنيتُ لو كُنت طارقَ بَـن زياد لأحرَقتُ نفسي بدل إحراقِ سفنـي لأننـي لـم أكـن صانعَ هـذا العالـم وما كنتُ كاسراً للصمتِ الدولي لأنني أنفقتُ عمري كلـه أعيشُ مثل أبـي الهول، وكـم تمنيتُ أن أكونَ ساعـاتَ ضعفي مثلَ اوغستو بينوشيت حتـى اقتصَ من كلّ الصبيةِ الذين ضربوني في المدرسةِ، عزَفتُ عـن كوني بينوشيت لأن العالمَ أصبحَ صغيراً علـى الطغاةِ، حسِبتُ نفسيّ فـي سنيّ مراهقتي اكبر عاشق فـي الناصريّةِ فأطلتُ لحيتـي وشاربي علــى طريقةِ بيكاسي(*).. لو لا تنغيصــاتُ حبيبتي التــي كلما ضجرتْ منّـي عيرتني برسـول الحبِ(**).. ويدي فـي يدِها تمنيتُ لـو كنتُ أنا مَـــنْ ضربَ أنظمــةِ الكمبيوتـرِ بفيروس الحــبِ بعبــارةِ: (أحُبـــك)

كرهتُ أنْ أكـونَ قرصـــانَ انترنيت وأبقيتُ لحيــةَ وشاربَ بيكاســي، وعندما أشرعْ بممارسةِ مواهبي فــي التخاطرِ عـن بعدٍ كانتْ أمي تصــرخُ بحرقةٍ:

---

* بيكاسي: رحالة هندي يسير على قدميه يجوب العالم منذ عام 1987، وحتى الآن يبلغ رسالة السلام.

** رسول الحب: لقب أطلقه موزعو أغاني كاظم الساهر عليه.

"إلى متى تبقى الصخرة جاثمة عليكَ؟". رغبتُ ساعتها لو كنتُ تانتالوس فأزيح الصخرةَ وأرميها بعيداً عنا نحن أبناء الخائباتِ، صرفتُ النظرَ عن كونيّ تانتالوس لأنني عربيٌ في طورِ التسويةِ لا أستطيع العيشَ من غيرها كنتُ سيزيفَ العربِ سعيداً جاداً في حملِ صخرتي صعوداً وهبوطاً ذهاباً وأياباً كان ذلك هو الشرطَ الأساسي للتسويَةِ أنْ تكنْ سيزيف، فضلتُ إن أكون ثعلباً يمتطي ظهرَ فيل(*)..

منذُ نعومةِ أظفاري تمنيتُ لو كنتُ مثِلَ جدي الثالث علي السباعي الذي كانَ صديقاً حميماً لـ: ناصر باشا الأشقر(**).. الذي وَسَمَ مدينتهَ التي شيدَها آنذاك أعجاباً منهُ لحادثةٍ جرتْ لجديّ الذي كان يعملُ غواصاً ينتشلُ الغرقى والبضائعَ الساقطةَ من السفنِ التي تجوبُ نهر الفراتِ يوم كان بحراً واسعاً والمنفذَ الوحيد لنقلِ البضائعَ فتقع الكثيرُ من الحوادثِ، أخبرني بذلك جديّ الأولُ والذي سُمِيَ بنفسِ أسم جديّ الثالث، كان جديّ الأولُ حكّاءاً رديئاً، وهذا ما وَرِثْتهُ منه: ألحكي فالقطُ قد خرجَ من ظهرِ الأسد على سفينةِ نوحٍ، روى ليّ: "**غاصَ جدُك الثالثُ يومَ كسوفٍ كلّي حصلَ لِلشّمسِ، يومٌ رصاصيٌ ناشفٌ، متعادلٌ، وكأنّ المناخ أمسكَ عصا الطقس من منتصفها، يومٌ كثرَ فيه**

* **ثعلب يمتطي ظهر فيل: أسطورة شرقية تقول: أن ثعلبا ركب على ظهر فيلٍ وحينما كان الفيل يشق طريقهُ في الغابة دافعاً الأشجار جانبا، فأن الثعلب ينفخ في صدرهِ بعجبٍ، قائلاً: كم أنا قوي ؟!.**

** **ناصر باشا الاشقر: هو أحد شيوخ آل سعدون، أشرف على بناء مدينة الناصرية في سنة 1869 التي أمر ببنائها مدحت باشا وكان أول حاكم لها.**

صياحُ الديكةِ طوالَ فترةِ الكسوفِ خالفَ كل التنبؤآت ما حصل ذلك الأربعاء الحادي عشرَ من أغسطس / آب من العامِ التاسعِ والتسعين بعد الألف والتسعمائة. لم يكنْ بارداً كان فاتراً ناعماً متقطراً لم تهبْ فيه أيّةُ رياحٍ عاصفةٍ كان ناشفاً لم تتوفَ فيه أيّةُ شخصيةٍ مهمةٍ سوى وفاة المجنون كاظم الحلو الحباب وبيده قطعةُ ورقٍ مقوى كُتبَ عليها: إلى متى يبقى كاظمُ الحلوُ الحبابُ على التلِ ؟ من يومها والناس يرددون كلما ضنكهم الدهرُ: إلى متى يبقى البعير على التلِ ؟ شَطبَ الكسوفَ أعمالُ البناءِ الجاريةَ في المدينةِ، كَنسَ شوارعَها الترابية، أغلقَ دكاكينَها وكلَّ الطرقِ المؤديةِ إليها كانتْ خاويةً مهجورةً، تنتصبُ منارةُ مسجدِها صغيرةً ناحلةً قميئةً على مبعدةِ مئةِ ياردةِ منها غاص جَدُكَ بجسدهِ الأسمرَ الممشوقِ في مياهٍ عسليةٍ طازجةٍ فاترةٍ أمواجُها مجلَوةٌ ناصعةٌ تارةٌ بسلامِ فضيٍّ طيعٍ لاصفٍ، وأخرى متحفزةٍ بنديةٍ جارحةٍ تأتي من الشمال منسابة كأن لها أجنحةً تبحرُ بها، أمواجُها فسفوريةٌمنفوخةٌ دسمةٌ ناضجةٌ، كان جسدُ الفراتِ فتاناً مغرياً، منتشياً مرحاً، متودداً رشيقاً، طائعاً منسجماً باشتهاءٍ، قبيلَ وصوله القاع رأى امرأة تنسدلُ من قمةِ رأسِها عباءة تحلّقُ حاشيتُها الصدئةُ خلفها مع دفقاتِ الفراتِ، تهزُ بيمناها مهداً خشبياً، وَطِئَتْ قدماه قاعَهُ الطيني الطري الدافيء، رغمَ ذكورة الفراتِ إلاّ أنّهُ شَعَرَ بأن قدميه قد وطئتا رحماً دسماً ناضجاً بلزوجةٍ لذيذةٍ دافئةٍ تستلقي في المهدِ

طفلةٌ حنطيةٌ جميلةٌ بريـّةُالملامح ؛ إنـها فينوس التي ولدِتْ من رحـمِ الأمواجِ. كانتْ تنظر لجدك بعينـين سوداوين نقيـتين باسمتين براقتـين تنيران صفحةَوجهها القمريُ كله، دنا أكثرَ، أكثرَ، المرأةُ مستمرةٌ بهـزِ المهدِ، انحنى مبصراً الوحم، حروفٌ بلونِ الطينِ الحريّ سـمرٌ مميّزةٌ، لحظة مدَّ يـدهُ راغباً بحملـها أراد أن يفـعلَ مثلما فعلتْ ابـنةُ فرعون حـيث انتشلتْ من الماءِ سلةَ موسى، دخلَ القمـرُ فـي المحاقِ، سـقط منتصفُ الليلِ فـي عزِّ الظهيـرةِ كانتْ الساعةُ الرابعــة والأربعين دقيقــة صـارتْ الشمّسُ قرصاً اسـودَ مكتملاً، شرعتْ ديكةُ المديـنةِ تصيــح، مؤذنو الجوامــع ينادون لصـلاةِ الكسـوفِ، اغتاضتْ هــازة المهدِ نافخةً في وجههِ بعنفٍ مثلما تنفخُ إناثُ القططِ مدافعاتٍ عـن صغارهنَ عندما يهاجمهنَّ طفلٌ عابثٌ، لأثرِ نفختـها، فارتْ، دارتْ، سـخنتْ، تعاظمـتْ مندفعة مـياهُ الفــراتِ مشحــونةٌ بأرتعاشاتٍ ساميــةٍ رافعةً جسدَه فوق أكروبات مائي، وَجَدَ جَدُكَ نفسَــهُ ملقــى فوقَ ضفةِ النهرِ اليمنى، فاقد السمع، مؤذنو المساجدِ ينادون لصلاةِ الآيـاتِ، جَدُكَ لا يسمع، يرى، رأى عينـيها تبسمان لحظة قراءتهِ حروف الوحـمِ، إنسل ضوءٌ فضـيٌ مـزرقٌ مــن قبــةِ السـماءِ، ببطءٍ، ببطء، اسـتيقظتْ فـيه المدينةُ علــى صياحِ ديكتها، بزغ فجرُ زئبقيٌ ساكنٌ، ناشفةٌمديـنةُ الأشقر جدرانـُـها ملســاءُ عاريةٌ باردةٌ ذاتُ ملامــحَ ساذجةٍ مثلُ طفلٍ فاجأه أبوه يلــعبُ فـــي بــرازهِ، بعد أربعيــن يــوماً بالضبطِ فَـقَـدَ جَدُكَ بصـرهِ لكثرةِ مــا نظرَ للشمّسِ المكسـوفـةِ وراحَ يحــلمُ". حلمـتُ.

أمــسِ ليـلـة الكسوفِ: برأسِ الحسيـن محمولاً فوق رمحٍ طويلٍ مدمى بغسـقِ الغروبِ، الرمـحُ بيـدِ فـارسٍ بلــونِ الكرافيك، بـدا الفارسُ ومن خلفهِ الغروبُ كتلةً مـن دمٍ قرمزي، كلُّ مـا اذكره، كـان وجهُ الحسين يشـعُ نوراً، أنهُ: يتـألم، أنهُ: حي، وكـأنَ الموتَ مـا طاله، تضـيءُ وجهــهُ القمـريَ لحيةٌ بدكنــةِ الليلِ نـاعمــةٌ لامعــةٌ وشاربٌ أسودُ فـاحمٌ تلتمع في منتصفهِ شعرةٌ بيضـاءُ وحيدةٌ خشنةٌ كبيرةٌكأنـها نجمةٌوحيدةٌ تنيرُ سمـاءً داكنةً عميقةً، كنتُ في عـالمِ الرؤيا صبياً مع زملائي فــي المدرسةِ المـركزيّةِ الابتدائية(*).. دخل الفارسُ فــي ساحةِ رفعِ العلمِ، صرنـا نحنُ التلاميذَ الصغارَ نركضُ وراءه متلقفين قطـراتِ دمِ الحسيـن التــي كانتْ علــى شكلِ حبـاتِ رمـانٍ ريانةٍ نَضِرَةٍ، التقط زمــلائي الطلابُ حبيبـاتِ دمــهِ بـأكفهم الصغيرة وراحـوا يتوضؤون بـهـا، تـحـول كلّ صبيٍّ إلى فـارسٍ كرافيكي يمسـك رمحـاً طويلاً مدمى فوق الرمحِ كان رأس الحسين يقطر دمــاً،تنـاسل زملائي المتوضئون والحـاملون لرأس الحسين وكــأن صبيةَ العالـمِ كُلِـه تجمـعوا فــي مدرستنـا، الوحيدُ بينهم كـــان همِّيَ أن المــسَ تلك الشعرةَ البيضــاءَ الوحيدةَ، كنتُ اصرخُ بـالفــارسِ الكرافيكي مغبونـــاً، أفقــتُ علـــى تكبير وتسبيح أبي الذي أخبرني بـأنني كنـتُ اصـرخُ متنبئاً فـــي حلمي: "ستزول دولــةُ إسرائيل عـــام ألفيـن وثمـانيــة عشـرَ"، سمعتْ أمي ذلكَ فعلقتْ بحْرقةٍ:

"أتبقى الصخرة جاثمة عليك حتـى عام 2018. الله أكبر".

* المدرسة المركزيّة الابتدائية: أقدم مدرسةٍ في الناصريّةِ وقد أســسّت عام 1916.

روى جديّ الثالثُ عليّ السبّاعي لصديقهِ ناصر باشا الأشقر ما جرى لهُ، فسمى الأخيرُ مدينتهُ بأسمٍ أنثويٍّ، أسمٍ أسمرُ نكهتهُ جنوبية، أنه: الألم، أنه: ناصريّة.

* * *

... كانتْ حلوى أمي المفضلة حبوب البراسيتول كونها تشكو دائما من ألمٍ متقطعٍ في رأسِها، كان صداعُ رأسها لا ينتهي ألمه مثلُ القضيةِ الفلسطينيةِ دائماً مطروحة على طاولةِ المفاوضاتِ. مصادفةً. أحطتُ رأسَها بيديٍّ، زعقتْ وكأن تياراً كهربائياً قد مسّها، بهدوءٍ نموذجي قربتُ يديّ من رأسها، شعرتْ بحرارةٍ تشعها يداي، حرارةٍ عميقةٍ واخزةٍ، أحسستُ بانخفاضٍ بسيطٍ في طاقةِ يديَّ، وكأن تفريغاً كهرومغناطيسياً حدث بين يديَّ ورأسها، وبعدها لم يعاودها الألم بتاتاً، من يومها أصبحتُ مُداوياً. باراسايكولوجياً. ميداساً، الملك ميداس، كنتُ مثلهُ كلما مسّتْ أصابعُه شيئاً صيّرتهُ ذهباً، كنتُ ميداساً أُشفي المرضى، جاءني جديَّ الأول يّشكو من ألمٍ مزمنٍ في وركهِ الأيمنِ عجزتْ كلُ معالجاتِ الأطباء عن سبرِ غورِ مصدرهِ، وضعتُ يدي لمدةِ خمسِ دقائق شعر معها جدّي بحرارةٍ نافذةٍ ناغرةٍ في الأنسجةِ الداخليةِ لوركهِ منها هجرهُ الألم نهائياً.

* * *

... أستشفائياً. مثلتُ بيـن يدي عتـودة(*).. الذي فقد ذكورته بسبب مكيدةٍ دبرتها لهُ ونفذتها فتـاةٌ حـرةٌ نصبتْ نفسها ليلة زفافها قاضياً وجـلاداً وضحيةً، ضحـتْ بحياتِهـا مـن أجـلِ بقيّـةِ فتيـاتِ مدينتـها العذراوات، جلبوها لهُ، طلبتْ منـهُ بشوقٍ فائضٍ: "مولاي عتودة. عندي أمنية آملُ أنْ تحققها لي". أجابها: "أطلبي ما تشائيـن". قالـتْ دون تردّدٍ:

"أقبـلُ حيـوانك الأسـود الجميـل قـُبيَّـل فضِّـكَ لبكارتي".

أنتشى ضاحكـاً، وأظهر عربيدهُ الأسود شرسـاً مهيبـاً كهراوةٍ، فما كان منها إلاّ وأطبقتْ عليه بكلِ أسنانها، جاءت عضتها مباشرةً فوق العصبِ الناقلِ لحركةِ حيوانهِ، لأثر عضتها أصبح عتودة عاجزاً جنسياً، تماماً عاجزاً جنسياً، حالما دخلتُ ديوانهُ وجدته مرتدياً بزةَ آل فرعون تحيطُ بهِ كوكبةٌ من فتياتِ جرانيّولتياتٍ(**).. شاحباتٍ بارداتٍ قاسياتٍ باهتاتٍ هيمنَّ بظلالهنَّ القاتمةِ على ديوانهِ الباذخ كأنهن حبيبات لوحةٍ من لوحاتِ وفيق المنذر اصطففْنَ فوقَ موزائيكِ ديوانهِ تحت الأنوارِ الوانية مرغماتٍ تحف بهنَّ سجاجيد كاشان نظيفة ومخداتٍ من حريرٍ ملّونٍ طرّزتها تشكيلاتٌ خلابةٌ لفتياتٍ عارياتٍ بأوضاعٍ مثيرةٍ تحت أسد بابل، بدل أن يرحب بيّ راحَ يصرخ فيهنَّ بصوتٍ عالٍ:

---

* **عتودة: خادم أبرهة الحبشي لشدة وفائه لسيده أبرهة الحبشي طلب من سيده ومولاه أن يمنحه شرف فضّ بكارةُ كلّ عذراءٍ ليلة زفافها، فوافق أبرهة على طلبِ خادمِهِ المطيع عتودة.**

** **الجرانيّوليت: متعارف عليها صناعياً كحبيباتٍ رمليةٍ مصنعّة يستخدمها الفنان الأردني /وفيق المنذر/ في لوحاتهِ كثيراً.**

– أخرجنَّ جميعكنَّ من هذا المكان فمن لا بكارة لها لا مكان لها.

انفرطت الفتياتُ الجرانيوليتات لأمرهِ متفرقات كالأحجارِ الثمينةِ التي تَبْرُق في خواتم وأساور يديه،

أنفرطن بصمتٍ مثلِ الدموعِ، كنْ بلا زمنٍ، بل، كنْ لحظة، مجرد لحظةٍ، لحظة رأيتهنّ فيها ولم يتبق بعد تلك الرؤيةِ في خلدي شيء، سألتُ نفسيَ محاولاً ثنيَ دهشتي:

– أعاد إبليس إلى غيّهِ ؟

وكأنه قرأ أفكاري،عَلّقَ بصوتٍ خبيثٍ رخيٍّ، قائلاً:

– ومتى كفَّ عتودة عن فضِ بكاراتِ العذارى ؟

ابتسمتُ لغبائي الاستثنائي الذي أدخلني في عنقِ الزجاجةِ، تمتمتُ في ذاتِ نفسي:

– أجلبني. هنا. كي أوقظَ حيوانهَ النائمَ كلما فضَّ بكارةِ أحداهن.

عرفَ بما فكرتُ به، قائلاً:

– قدرك يا سباعي أيقاظ حيواني النائم.

كلُّ الأشياء تمنيتها إلاّ أنْ أوقظَ عربيده السابتَ، سيفهُ مسلطٌ على رقبتي وليس الصخرةُالتي جثمتْ على صدري، أنْ تكن مُداوياً فذلك يعني: أنْ تتعلم العزف على المزمارِ. اللعبَ بالمزمار، مثلي كمثلِ الهندي يُزمّرُ بمزمارهِ مرقصاً أفعاهُ، كنتُ أحركُ يديّ كساحرٍ، هابطاً صاعداً بهما

أقصى اليسار الذي تربض فيه الأفعى داخلَ سلتها تتثاءَب من صقيعِ البطالةِ ولسوء حظّي الرابحون همُ دائماً على الطرفِ النقيض أقصى اليمين حيث عتودة شاهرٌ مسلطٌ سيفَ عولمته على رقابنا وينظر بعينين كسيرتين دامعتين لعضوهِ السابتِ، أشعرُ بألمِ حدِ السيفِ مسلطاً على رقبتي، ولا أخفيكم سرّاً كم تشتاق نفسي لتلمس أفعاهُ النائمة، هَدَرَ بي بعدما عرف ما يدور في نفسي:

– أهكذا تتحرقُ نفسُكَ شوقاً لتوقظ أفعايَ ؟

عربيدهُ ناقعٌ في عرقٍ باردٍ مضمخ بالمسكِ، تهربتُ من سؤالهِ المحرجِ، قائلاً:

– أقدرُ مولاي: فضَ البكاراتِ ؟

تركَ سؤالي عائماً في صدري، أخذ يحدثني كأنه كامل الدباغ رحمه **الله** يذيعُ في برنامجهِ العلمُ للجميع كل أربعاءٍ بصوتٍ يتذوق فيه الحروفَ تذوقَ من يجلسِ أمامَه شخصٌ يمتصُ ليمونةً، قائلاً:

– ستحلُ عليْنا الألفيةُ الثالثةُ وعلماؤنا يؤكدون بأن قرننا الحادي والعشرين سيكون قرنَ: الجينات أو التقنيةِ الجينية، قرن الهندسة الوراثية. سأكون أول المُسهمين في تحسين مشروع الجينوم البشري، وسأسهم في مدِّ جسرٍ يعبرُ عليه أبنائي نحو الارتقاء والتطور. مثلما لكلِّ عصرٍ أو قرنٍ ميزاتهُ، فالقرنُ الثامن عشرَ كان قرنَ بخارٍ، والتاسعَ عشرَ قرنَ

الكهرباءِ والعشرون قرنِ الذرةِ، أما الحادي والعشـــرون سيكــون قـــرنَ صراصير عتودة(*).. ما إن نطقتها بداخلي حتى انتشى ضاحكاً،

عجبتُ، فسألتهُ:

– ما الذي يُضحكُ مولاي ؟

قال منتشياً:

– رائعٌ. قرنُ صراصير عتودة.

أستطرد قائلاً:

– تسميَة رائعةٌ لقرنٍ جديدٍ.

راحتْ عاصفة ضحكهِ تجوبُ ديوانَه الفخمَ الذي يتوسطه أسدُ بابلَ، قال:

– سأمنحكَ شرف الأرتقاء مع أحدى مفضوضاتِ البكارة حالما تنجح في أيقاظِ حيواني النائم.

"قالها" ويحسبُ أنهُ قد مَنَّ عليَّ، كان أشبهَ بقوادةَ ؛ العضو العريضُ والطويلُ تحتفظُ بهِ ممتعةً نفسَها بهِ، وأنْ كان العضو رفيعاً قصيراً تعطيه لفتياتها قائلة لهنَّ: "خذن استمتعْنَ".

* صراصير عتودة: حيامن عتودة.

ناداني ضاحكاً بصوتٍ سمعتُ النشوةَ في نبرتهِ:

"خذن استمتعْنَ".

أثناء ذلك حَضَرَ جنودَه، وجوُهم واحدةٌ ومتشابهةٌ، أشبهُ بوجوهِ لوحة جمهور بلا وجوه للفنان تسونهيسا كيمورا، برفقتهم فتاةٌ ترتدي عباءةٌ سوداءَ فوقَ بدلةِ زفافها يحيطُ بها الجنودُ مثلَ إحاطة الغيومِ بالبدرِ، سألتُ ذاتَ يومٍ جدتي لأمي: "**لماذا ترتدي العروسُ ليلةَ زفافِها بدلةً بيضاءَ؟**". قالتْ جدتي: "**أنْ الأرواحَ الشريرة تحلقُ ليلة الزفافِ بكثرةٍ فوقَ رأسِ العروسِ، لذا ترتدي العروسُ بدلةً بيضاء تطردُ بها الأرواح الشريرة لكون الأرواح الشريرة تخاف من البياض**".

تضعُ الفتاةُ على وجهِها بُرْقعاً أبيضَ أبعد الجنودُ برقعَها وعباءتها بأمرٍ من عتودة، فتاةٌ جميلةٌ قمحيةٌ وجهُها الطفولي قمريٌ فيه سمرةٌ بريّةٌ محببةٌ ونحولٌ لانكاد نشعرُ بهِ، عندما تُطِلُّ من شفتيها تلكَ الابتسامة المترددةِ التي ما إنْ تكتمل حتى تكتشف أن في هذا الوجهِ البريء عينين سوداوين ساحرتين حراقتين تحتاجان إلى جهدٍ كبيرٍ لكي تحوّل عينيك عنهما، كانتْ تصافحني بأبتسامتها عندما سألتها ذات صباح: "**هل كانت الأميرةُ ديانا سبباً في مقتل دودي الفايد**"، فتتأرجح جديلتها خلفها بموّدةٍ، سألها عتودة بصوتٍ غليظٍ ملأ حنجرته تلهفاً:

– ما أسمكِ ؟

تجاهلته بعنادِ آخر خيطٍ من خيوطِ النهار وهو يصارع الظلمة، اكتسى وجههُ بشمعٍ كرافيكي طري، أبتسم رافعاً سبابته التي أحتلها خاتمٌ كبيرٌ بحجارة فيروزية تلسعُ بوقاحةٍ من ينظر إليها، وهزَّ سبابته محذراً:

– أحبُ معرفةَ أسم التي سأفض بكارتها ؟

يُطلب من المرأة أثناء المخاض لدى بعضِ طوائفِ اليهودِ أنْ تردد شهادة الإسلام حتى إذا سمعها الجنين كره أمَهُ ودفعَ بنفسهِ خارجاً، هذا ما حكاه ليَ جدِّيَ الأول، تركت سؤاله يذهب أدراج الريح، سألتهُ بنبرةٍ من تعرف أنها داخل حقل ألغام:

– مرادّكَ عذريتي ؟

آلمني سؤالها، ضحك عتودة مستهزئاً، أجابها مثلما يتحدث مصاصو الدماء:

– بكارتك.

سألته محاولة خرق غضبه، قائلةً:

– هل تعتقد أنك استطعت أن تفض بكارات جميع العذارى ؟

رَسَمَ ابتسامة مثل علامةِ النصرِ، تخندقتْ فوق شفتيه الدكناوَيْن العريضتين، فأجابها مختالاً:

– نعم ! عندما أفضُّ بكارات الصبايا أجدُ نفسيَّ سيداً. نعم! سيداً وأجد مفضوضة البكارةِ مسودَةً.

مثل قيصر يتحدثُ عتودة عن رجولتهِ وفحيحُ ذكورتهِ يصمُّ أذني.

سألته بصوتٍ خفيضٍ وعيناها تنظران بعدائيةٍ في عينيه ذواتي الفصين الأبيضين الداميين، قائلةً:

– ما قيمة أن تكون سيداً إذ كل ما تفعلهُ هو تكرارٌ لكونك السيدَ نفسه ؟

بعدائيةٍ دفينةٍ جاءها صوته جافاً مهيمناً:

– تعرَّي.

اعترضت، أمر جنوده أن يعرّوها، قاومتْ، نظرتُ خطفاً لعينيها المتحديتين فشاهدتُ دمعة عصية تجول متنمرةً في مقلتيها، تحرر بدورهِ من زيّهِ الفرعوني جسدٌ طويلٌ بكرشٍ ضخمٍ مطاطيٍ أسودَ أشبه بكرش بوذا، تمنيتُ لو كنتُ دون كيشوت لترجلتُ من فرسيَ العجفاء ورميتُ سهميَ المكسورَ بعيداً ورحتُ أتلمسُ كرشه متباركاً به مثلما يتباركون بكرشِ بوذا الذي يجلبُ الطالعَ الحسنَ، كوكبةٌ من الدموع تبرق في عينيها فبدتْ كأضواءٍ لاسعةٍ في جوٍ ماطِرٍ، بكتْ، قاومتْ الفتاةُ بكلِّ ما أوتيت من قوةٍ حتى أن الجنودَ مزقوا عنها بدلة زفافها تمزيقاً خَجِلتْ من النظرِ إلى جسدها وكأنها لم تكنْ تعرفُ أنها تملكُ مثل هذا الجسدِ الباذخ المعجونِ من كهرباءٍ ودمٍ، كنتُ أسمعُ في الحكاياتِ عن عروسِ البحرِ.

حقاً ! كان جسدُها أشبهَ بجسدِ عروسِ البحرِ، أنفرطَ اشتباك ضفيرتها لتسترَ عريَها، سقط منتصف الليلُ، ليل شعرها في عزِّ ظهيرةِ

جسدُها، ذكرني انفراطُ جديلتها بانفراطِ ضفيرةِ معلمتي وهي تشرحُ لنا في درس التأريخ كيف أن هيلين كانتْ فاضلةً وأن التي ذهبتْ إلى طروادة كانتْ امرأة أخرى من صنع الآلهة تشبه هيلين، وقالتْ لنا ان هاكوبا كانت فاضلة، فَعَرَّضَتْ نفسَها لرمحِ زوجِها إثباتاً لعفتِها، فنمتُ ليلتها مغبوناً فحلمت بـ:

(كلنتون يذبح: الأسكندر المقدوني، رمسيس الثاني، هولاكو، وهتلر، تحت قدمي مونيكا)

كنت أصرخ في الحلم خائفاً:- "**ستحلُ نهايةُ العولمة في عام ألفين وخمسة عشرَ**".

.. وحمٌ، وحمٌ يتوسط صدرها الفخمَ الباذخَ من خلفِ الوحم أطلّتْ شمسُ جسدِها عسليةً لاهبةً مثلَ شمسنا السمراءَ في حزيران في صيف الناصريّةِ، وحمٌ حروفه بنيةٌ مثلُ لون الطين الحريِّ، سمرٌ مميزةٌ ؛ قرأتُ الحروف في سرّي، فنطقها بدلاً عنيَّ عتودة:

- ناصرية ! أسمُكِ: ناصرية !!!

أومأ بأمِ قبضتهِ أنْ: سَألجُكِ، في إشارةٍ خبيرةٍ دسمةٍ، هكذا تكلم عتودة: فتاة مفضوضة البكارةِ خيرٌ من عذراء. قال بلؤم:

- ناصرية. سأفضُ بكارَتك.

إستطرد منتشياً:

- سأنظر إلى عينيكِ وأنا أفضُّ بكارَتكِ، تلك هي متعتي.

ناصرية عنقاء بُعثتْ من رمـادِهـا، نطقتها في وجههِ بعينين متحديتين تفيضان عداوةً جارحةً، قالتْ متنمرةً:

– لم ولن تنالَ عذريتي. يا أخيتي !

دخلتْ ناصريّة منعطفاً خطيراً جداً مثلَ الإنسانيـة، نطقتها وصدرها يهبط ويعلو، يعلو ويهبط: لم ولن صرختان اجتمعتا في صرخةٍ واحدةٍ سجينةٍ موجزةٍ لأكبَر: لا. في حياتنا، صرخةٍ مكثفةٍ مكورةٍ صلدةٍ من ضيم سنوات حياتِنا، لا. صرخةٍ إحتفظنا بها في لبِ صدورنا، كانتْ في دمائنا،.. أرواحِنـا،.. أصلابـِنا،.. أرحامِنا،.. أرضِنا،.. هوائِنـا،.. أشجارنا،.. سمائِنا، والله حتى في حجارَتِنا، نظل نختزنُها حتى نغيرَ ما بأنفسِنا ونخرجَ من عنقِ الزجاجةِ لا. نطقتها وكأنها جميلة بوحيرد: –

– أتحدّاك.

أخيراً أكملَ المريخُ سطوته فوقَ أسد بـابلَ الذي بدا بدكنة الأسمنتِ، دخل المشتري فـي برجِ العذراء، غيظٌ اصفرٌ باردٌ يقطر من جبينِ عتودة، لوّحَ بيديهِ المليئتين بالخواتمِ والأساور معلناً قبولهُ التحدي، كانتْ ناصرية ناقعةً بأضواءٍ بلوريةٍ متلألئةٍ بقطراتِ عرقِها الباردةِ، تتأرجحُ جديلتـُها على كتفيها منقعة ناصرية بليلها، ليلِ جديلتِها، دروبها: ساقيها، أزقتها: طياتِ وثنيات خاصرتيها، بيوتِها: أضلاعِ صدرِها، بوابتها: فينوسِها، نهرِها: شفتيها إلا عينيها تنظران شاكيتين تغدوان وتروحان، تذهبان وتجيئان صعوداً وهبوطاً بين عتودة وبيني، قالها

بشفتين قاسيتين تعودتا إصدار الأوامرِ بعدما أدخلني في خرمِ الإبرة، قائلاً بصوتٍ أحتوى كراهية العالمِ أجمعها:

- إبدأ.

فبدأت، هكذا بدأتُ أزمرُ، تزميراتٍ ساخناتٍ بثوبِ الصمتِ، بدأتْ اللعبة، كنتُ وترَ اللعبةِ وضحيَتها، الأفعى تفيقُ، تتابعُ مزماري، شفة ناصرية السفلى تصعدُ وتهبطُ بتوترٍ غريبٍ، كانتْ دقاتُ قلبي تتوالى كضرباتِ طبلٍ أفريقي: "دُمْ.. دم.. دُمْ.. دم". أصطفق جفناها بألمٍ، صدرُها يعلو ويهبطُ بحدةٍ، همستْ بصوتٍ خافتٍ وقورٍ:

- **أنا دخيلة أكبر عاشقٍ في الناصريّةِ.**

* * *

... أعطيتُ ظهري لأسد بابلَ، مددتُ كفيَّ قابضاً الفضاءَ المحيطَ بعفريتهِ،أصابعي تُشَوِّهُهُ بحركاتٍ مدروسةٍ، أنتضيتُ أصابعي أقطع بهنَّ الفراغ الساخنَ الليِّنَ وأتلمسَه، كفاي ترتفعان وتهبطان، تهبطان وترتفعان متلمستين ظلَّ عفريتهِ، نظر في عيني مباشرة، تفرسني بذهولٍ، أنا أزمر، ألعبُ أصابعي على مزماري، كنتُ زمار اللعبة ومزمارَها، مثل الهندي الذي يزمّر مرقصاً أفعاه، أمتدتْ ظلالُ كفيّ مستدقةً حادةً عند صعودها وتثلثتْ أثناءَ هبوطها، تكسرُ صمتَ ظلالِها أثر دوران كفي في مدارِ أفعاه. ألآن. المشتري في برجِ العذراءَ، يراقبُ

عتودة ما أقوم بهِ مبهورَ الأنفاسِ مضطربها وقد أرتسمتْ على وجههِ ملامحُ سذاجةٍ غاضبةٍ، جسدهُ كما الأسفنجة يمتصُ الطاقة الكهرومغناطيسية التي تبعثَها يداي، أغمض عينيه لا يرغبُ في الحديثِ إلى أيِّ مخلوقٍ، بدأت أفعاه بالأستيقاظِ، أنخفضت طاقة جسدي، شعرتُ معها بالاعياء، أستيقظت أفعاه، شاهدتُ أنتفاضتها الواهية، مستميتةً تحت تأثير يديَّ المزمرتين، أنظرُ متعباً إلى بطنِ أفعاه، فأرى نسغها ينتصبُ بطيئاً تدريجياً من أرضها السوداء المحلوقةِ حديثاً، أنفتقَ رأسُ أفعاه منتصباً ظاهراً بارزاً خارجَ خوصتها، كان أدنى شبهَ بوحشِ بحيرةِ لوخنس، راحتْ أفعاه تتمايلُ راقصةً مع تطوحاتِ مزماري، هربت إغفاءته، ذهل، نظر ليَ بطرفِ عينيهِ وراح يضحك بهاتين العينين الجاحظتين الملهوفتين وهما ترنوان لوحشهِ المنتصب، قالَ في حماسٍ كبيرٍ:

– بدأتُ أشعرُ بفحولةِ أنكيدو.

رددها بصوتٍ عالٍ ثانيةً:

– فحولة أنكيدو تنتضي سلاحي الباسلَ.

أُفقي كان أسد بابلَ وعشتارَ أرسلتْ لهُ تموزاً كي يبثَ فيه الخصبَ، قال عتودة بنشوةٍ مثلِ أبيقور:

– ناصرية. سأفضُ بكارتك قبلَ غروبِ الشمّس(*).

* يعتقدُ بعضُ شعوبِ الأرضَ أنْ كل من يؤرخ عقد قرانه قبل غروب الشمس الألفية يجلب لهُ السعادة الدائمة.

ضربـــاتُ قلبـــي تزداد كضربـــاتِ طبـلٍ أفريقـــي، تملكتني غيرةُ عطيلُ على دزدمونة، لمتُ نفسي قائلاً: "ماكان يجب أنْ أكون أستشفائياً"، رفعتُ يدي من مدارِ أفعاه، وقفتُ نفسَ موقفِ هانس فون سبونك(*).. قلتها في وجههِ بوقارٍ وأتزانٍ محسوبين:

– لا.

الجنونُ وحدهُ الذي يكسرُ الخوفَ ويشلُ رتابةَ الصمتِ، وأنا مجنونٌ وسطَ عالمٍ عاقل تماماً، أثار رفضي حفيظته، قال بصوتٍ متحمسٍ:

– يا سباعي أنت مرغمٌ على أطاعتي لأنني أملك حياتكَ.

حاولت أجابته إلاّ أنه أعترضَ منذراً:

– لا تنسَ السيفَ يا سباعي !!!

... السيف ؟

السيف. كيف انساه ؟ صرتُ تحتَ سطوة القطبِ المجنونِ الواحد، والبعيرُ مازال على التلِ، وجدتُ نفسي في الموقفِ الذي وضعوا فيه عبد الله أوجلان، فكان ما كرهت، حرك عتودة سيف عدالته على رقبتي حركاتٍ ميلودراميةٍ، ثم تكلم بصوتٍ متخابثٍ:

– من غير سلاحي سينساني العالمُ.

أمرني بحزمٍ:

– عد الكرة ثانيةً.

(*) هانس فون سبونك: المنسق الدولي لشؤون العراق في الأمم المتحدة، وقد استقال من منصبه لاستمرار الحصار على العراق.

بأحكامِ أحطتُ أفعاه النائمةَ بيدي، زمرتُ، زمرتُ، زمرتُ، تأثيرُ طاقتي الكهرومغناطيسيةِ ماضٍ فيه، بثثتُ كلَّ طاقتي عن قصدٍ، الوقتُ يمرُ متعباً مكدوداً، انتصبت أفعاهُ في مواجهتي بأنحناءتها الرخيةِ يداي تدوران بميكانيكية نموذجية في مدارهما، أنتصب عضوه مهيباً كهراوةٍ، بدأ يلتهم أنفاسيَ، عتودة ينظر مبتسماً لعضوِه مثلَ تمثالِ الحريةِ يتبسم بغطرسةٍ ظاهرةٍ، دفعني بكراهيةٍ بعيداً عنه تسبب بسقوطي على كشحي، نهض كثورٍ، كان جسدهُ مدهوناً بالمسكِ لا يخترقه الضوءُ، بل، كان يلسعهُ فيلصفَ جبينهُ بأكروباتٍ ضوئي، وقف عتودة أمامَ ناصريّة، تذكرتُ ما شاهدتهُ على شاشة التلفازِ عندما وقف كلنتون أمامَ قضاتهِ والعرقُ يتصببُ من جبهتهِ الرومانيةِ العريضةِ لاصفاً بكرنفالاتٍ ضوئيةٍ، وقف أمامَ مونيكا التي كادتْ تودي بحياته مثلما أجابتني معلمتي عندما سألتُها عن الأميرةِ ديانا هل كانتْ سبباً في مقتل دودي الفايد، فأجابتني: **أن كليوباترا كانتْ سبباً في مقتل قيصر**، أرتمى ضوءُ الأصيل عند قدمي ناصريّة مثلَ سنابلَ محصودةٍ، أسد بابلَ صار بلون الكرافيك في حمرةِ الأصيل، زحفَ ضوء الأصيل على ركبتيه حتى مشارف أصابع قدميها، امتطاهما مقبلاً، تمادى ملتفاً مقبلاً متسلقاً حول بطتي ساقيها، إلتصقَ بفخذيها زاحفاً متشمماً حتى وصل عتبة فينوسِها، جسدُ ناصريّة يرتعش مثلَ الهواءِ، فتسقطُ خصلةٌ من شعرِها بديناميةٍ محببةٍ تمسحُ جبهتها الحنطيّةَ، طقطق ضوءُ الأصيلِ أصابعَ يديه، أخذ يدورُ حول زهرةِ عبّادِ الشمسِ كدرويشٍ أخذه الجذبُ ؛ خرَّ الأصيلُ مجذوباً من فرطِ انتشائه غروباً

احمرَ نارياً حاراً لاهباً مجوسياً كشمس تموّزَ. ألآن الكرة في ملعبي، صار المجال المغناطيسي للشمسِ متداخلاً مع المجالِ الأرضي المغناطيسي، وكلا المجالين يؤثران على حياةِ البشرِ، وبسبب ما بثثتهُ فيه من طاقة كهرومغناطيسيةٍ ستعمل على زيادةِ الأضطرابِ الوظيفي عند عتودة بالفعلِ، خرَّ عضوه منكمشاً ذليلاً غاطساً داخلَ شرنقته الجلديةِ، رفضتْ عشتارُ إحضار تموّز كي يبعثَ الخصوبةَ فيه، ذكرني منظرُ عتودة ومشاهدتهِ لعضوه بمشهدِ لوينل جوسبان عندما ضُرِبَ بالحجارةِ في جامعةِ بيرزيت.

شع من عينيهِ الخبيثتينِ المضببتينِ بدمٍ ثلجي وميضُ مكرٍومكيدةٍ، رفع وسطى يده اليمنى وحرّكها حركةًماجنةً، أنشغلتُ انظر إليها، هوى سيفهُ على رقبتي، لحظةَ فصَلَ سيفهُ رأسي عن رقبتي صافحتْ عيناي ابتسامة معلمتي التي قصصتُ عليها حلمي برأس الحسين أخذت تحدثني كتلميذٍ صغيرٍ في صفها عن احدِ الفلكيين الذي أدعى بأنهُ أحَضَرَ روحَ بتهوفن، فقالتْ له الروحُ "**لا تشغلني فأنا أسمعُ موسيقى أثيريةًمن بدايةِ خلقِ الكونِ ولملاينِ السنينِ القادمةِ**". فارقتْ روحي شرنقتها، رفرفتْ سعيدةًبالخلاصِ وسطَ ذلك الغروبِ النحاسي المحتدم الذي حَلُمْتُ فيه برأسِ الحسين ومحاولةِ لمسِ الشعرة البيضاء في شاربه الكريم. الآن لمستُها. كان ملمسُها مثلَ خيطِ ضوءٍ ازرقٍ مترفٍ مريحٍ تألقتْ روحي فوقَ أسد بابلَ توشوشُ في أذنهِ ما قد نطقهُ عتودة بعد حركةِ إصبعهِ الماجنةِ. **سأفضُ بكارتها بأصبعي**.

سيوفٌ خشبيةٌ

إني سيئُ السمعةِ للغايةِ أكثرَ من كلِ الناسِ، تعلّقتُ بذيلِ حمارٍ ودخلتُ سَفينة نوحٍ، فكانَ ليّ النصيبُ الأكبرُ من سيئاتِ الناسِ، رغم حقارتي ونذالتي إلا إنني لا ادخلُ البيوتَ إلاّ مِن أبوابِها، بإمكاني أدخالَ خَيْطي في كلِ نسيج، أُجَمِّلُ القبيحَ وأقبّحُ الجميلَ، كنت مبتلى في هذا الجانب، بعضُهم يولَدُ مُتَوَّجاً بالمالِ، وآخرَ محبوباً النساءِ، وثالثٌ يزدان بالعِلم، فكنتُ مبتلى بسوءِ السمعةِ، شَدَدْتُ الكلَ إلى ناعورِ السمعةِ السيئةِ، فصارَ يدورُ، يدورُ بسيئاتِ بني الإنسان إلاّ أخيار الناسِ فقد تحرروا من هذا الناعورِ؛ وَسوَستُ في صدرِ "هند بنت عتبة" فدربت وحشياً لاصطيادِ أسد **الله**، وسوَسْتُ في صدرِ "سَلْمِ الخاسِرِ" فَباعَ القرآنَ ليشتري بثمنهِ عوداً يعزف عليه، وسوست في صدرِ "دوق وندسور" وجعلته يتنازل عن عرشِ أنكلترا كي يتزوَج المرأة التي أحبَها، حَرَّضْتُ "لوترك" وليَ عهدِ النمسا، فباعَ مُلْكَ النمسا كي يعيش حراً، فوُجَد ميتاً فوقَ صَدرِ بغيّ في باريس، وسوست في صدر "محمد أنور السادات" فأمرَ "عادل أمام" بعرض مسرحية "شاهد مشافش حاجة"، فكانت قنبلةَ الغاز التي أسالتْ دموعَ المتظاهرين ضد سلطتهِ، وسوستُ في صدر سلفادور دالي، فأطال

شاربيه وجعل منهما أحجية عصر السرعة، أشعلتُ حروباً مروِّعةًفي الشيشان بذريعةِ ملاحقةِ جماعاتٍ أرهابية، أنا مَثَلي كَمَثل الملاكم الذي لا يترُك كيسَ الرملِ حتى ولوْ خَسِرَ عدةَ نزالاتٍ، أنا "أبليس" كيسُ رملٍ من أجل السيئـات، أججتُ حروباً في البلقان كانت الأكثرَ قسوةً وهمجيةً، عملتُ مجـازرَ مروعةً فـي قلـب أفريقيا بين قبائل التوتسي والهوتو، وسوستُ في صدورِ التجارِ فأدخلوا تجارةَ "البالات" فَصِرْنا سلةَ مهملاتٍ لمخلفاتِ الغربِ، في أفغانستان وسوستُ بصدرِ الملا محمد عمر زعيمِ طالبان فدمرَ تماثيلَ "بوذا" في باميان، ولم أقفْ عندَ هذا الحد رحتُ أؤَلِبُ العالمَ عليهِ فصار يتصورُ تدميرَ الأصنام على أنها مأساة، أغويتُ وليَ عهد النيبال، فقتل أباه وأمه وسبعةَ من أفرادِ أسرتهِ وتخلّى عن عرشهِ من أجلِ امرأةٍ، عَمدْتُ قبل أيامٍ إلى صُنعِ حربٍ باردةٍ جديدةٍ بين قطبِ الشريعةِ الدوليةِ وقطبِ الحضارةِ الإنسانيةِ، كان لي شعارٌ ارفعهُ ؛ لا أضاجعُ أمراةً ولا ألتذُ بتمزيقِ بكارتِها في الحب، لأنني لو فعلتُ ذلك لمُتُ في الحال، ميقاتُ نهايةِ حياتي ميعادُ موتي يبدآن بالحبِ، وأكرهُ أن أموتَ طَوْعاً، لذا، قَرَرتُ إيجـازَ سمعتي السيئة بهذه: التبرئة(*)

"كثيرون من ادعّوا الألوهيةَ، وأكثرُ مَن ادعّوا النبوةَ، وكثيرون وأكثرُ من كثيرينَ من ادعوا إن حبيباتِهم ملائكةٌ، وسأدعي بأني الشيطانُ،

(*) التبرئة: وصية قد تركها لي صديقي المرحوم (امجد طارق النجار) طالباً مني كتابتها في قصّةٍ.

أو على حدِّ علمي أنني هو: فما فضلُ كلِ أولئكَ المؤمنينَ الذين يقومون بارتكابِ المنكراتِ بأيديهم على كائنٍ لا يفعلُ شيئاً بيدهِ ؟ كلُ ما يفعلهُ أنه: يُحرّضُ، بالرغمِ من كلِ كفرهِ، وبالرغمِ من كلِ أيمانِهم فهم ينصاعونَ إليه، فما فائدةُأيمانِهم أذنْ؟! أنا أُقِرُّ بقولي "لأغْوِيَنَهَمْ اجمعين الا عبادكَ المخلصين" أنا لم أغوِ أنساناً مخلصاً على كل حال، ولا انوي فعل ذلك قطّ، لأن ذلك خارجٌ عن قُدراتي وسُلطاني، وكلُ ما فعلتهُ: هو أنيّ حرّضتُ أناساً أشراراً أصلاً، وحتى من غيرِ تحريضي، كل ما فعلته هو إنني كنت مسيحَ الخاطئين، مشجب أخطاءِ المذنبين، يعلِقُ على كتفي كلُ الآثمين أخطاءَهم وآثامهم ارتضيتُ لنفسي أن أكونَ مصبَّ اللعنات كي ما أكون تبريراً لكلِ إنسانٍ آثمٍ، هو أنيّ دفعتهُ لفعلِ ذلكَ الأثم. أما أنا أرتضي لنفسي مثل هذا المقام في الأَقلِ لكي اريحَ ضمائر الناس وأقنعهُم بأنهُم لم يَفعلوا شيئاً بغيضاً، أو لم يرتكبوا المحارم وإنما الفاعلُ هو أنا، بعقلي أنا، ولكن بأيديهم هُم، بالرغم من كلِ المعاصي والأخطاء والآثام التي يرتكبونها، حيث هم المستفيدونَ الوحيدونَ منها ولستُ أنا، فما الذي سأجنيه من تحريضي لأناسٍ لفعل أشياء أو القيامِ بأعمالٍ تعود بالفائدةِ إليهم وحدهم دون غيرهِم؟! ماذا؟ أن أوقعهم بالخطأ والأثم! أوَلا يعلمون انه إثم فيجتنبوه؟! ألا يدرون بان تلك خطيئةٌ فيبتعدوا عنها ؟".

في السابع من أكتوبر عام ألفين، حدث هَرجٌ كبيرٌ، آلاف الشبّان ملأوا ساحة البلدة وسطوح عماراتها أمتلأت بهم الأرصفة، امتطوا أكتاف

بعضهم بعضاً للتمتع بموقع للرؤية أفضل من الآخرين يتيح لهم مشاهدتي وأنا أقف...

...أقف أمام داعرتي عارياً إلاّ من سيفي، كانتْ تحب ان اضاجعها عارياً، بيدي سيفي اردد كلما حضرت لمضاجعتها:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ

في حده الحد بين الجد واللعب

ادهشني عريُها واصابتني رعشةٌ، رعشةُ نشوةٍ مدوخةٍ، سعدتُ، هَمَستْ بعذوبةٍ وهي تبعد بيدها الخمرية البضة اللدنة سيفي الاسمر:

– أنزل سيفك.

شاهدتُ قطتَها تغسلُ وجههَا بيدِها اليمنى بينما قُطيْطاتـُها يلهين بقربِها، شاهدتُ ابتسامةً خبيثةَ حَدجْتُ فيها تحدّياً لطيفاً، قالتْ ببساطةٍ:

– انزل سيفك، فلقد شاهدتُ ما يكفيني من السيوف.

تناوشتُ سيفيَ، امتشقتهُ بيدي، راحتْ يدي تمسدهُ آلياً، تُصقله، تذهبُ وتجيء عليه، تجلوه، تصلبه، مثلما افعل دوماً ساعات القيلولة امسد ظهر قطتها تتمطى القطة ويطول ظهرها، اختلستْ نظرةً مواربة الى سيفي، همستُ لها بصوتٍ مسموعٍ مغموسٍ بالنشوةِ والشهوةِ.

– بسيفي هذا سأحد من صلفك.

سيفيَ بيدي اخذَ يتطاولُ، يتطاولُ على انغام موسيقى هادئة كان يبثها المذياع الموضوع فوق السرير، توتر سيفي بسرعة، انتصب فتقسى

ذاتياً، أومضتْ عيناها ببريقٍ اسمرٍ، بريق سيفيَ الباطش، ذات يوم سألوا "سفانة بنت حاتم الطائي" عن أحبَ شيء إلى المرأةِ ؟ فأجابتْ: "الجنسُ" "الجماعُ". فسألوها من أينَ عرفت ذلك وأنت باكر؟ قالت: أمي كانت قابلة، كنتُ أرى النساءَ يصِلنْ إلى الموتِ أثناءَ ولادتِهُنّ ويبقين يضاجعن أزواجُهنَّ رغم وصولهنَّ الموت ساعة الطلق. راحت نظرات عيني تسافر على جغرافيا جسدِها البضِ اللذيذِ باستدارتهِ المزدانة الناهدةَ، وعيناي تستطلعان منحنياتها المثيرةَ، أخذتُ أتلو "صلواتي"(*).... فوق هضابها الخمرية:

أنني أستنشق الهواء العذبَ الخارجَ من فمكِ

وأتأمل كل يوم في جمالكِ

وأمنيتي هي أن أسمعُ صوتك الحبيب

الذي يُشْبِهُ حفيفَ ريحِ الشمالِ

أن الحبَ سيُعيدُ الشبابَ إلى أطرافي

أعطني يدك التي تمسكُ بروحِك

وسوف أحتضنُها وأعيشُ بها

ناديني بأسمي مرةً أخرى وألى الابد

لن يصدرَ نداؤك أبداً بلا اجابةٍ عنه

---

* صلوات وجدت مكتوبة على لوح ذهبي تحت قدم مومياء وقد أزيل اسم كاتبها ؟

أخذت أناملي تستكشفُ خباياها وتتذوّق مستطيبةً لذاذتهِ، شرعَ لساني الطري يلعق مرتفعاتها الشهية، فتفجرت أوجاعُها وأزداد ألمي، ضمتني بقوة، بقوة، بقوة بين ذراعيها هصرتني. الحياة بين ذراعيها محاولة، حياتنا مع حواء ليست نتيجةً، والسعادة كانتْ في حضنِها: انتماءٌ، قلتُ لها بمَكْرٍ وشفتيَّ تمتصان شفتها السفلى:

– خذي هذه الطعنة النجلاء.

لم تتأوه. لم تصرِخ لم تَصْدرُ عنها سوى ضحكةٍ لذيذةٍ، لذيذةٍ فاضتْ عذوبةً ولهباً، صرختْ متسائلةً بصوتٍ نبراتهِ شَحَذتْها السخرّيةُ المرّةُ:

– أين سلاحُكَ يا عنين ؟

ارتد سيفيّ الى نحري، هي تضحكُ بعذوبةٍ وانا اتلظّى، قالتْ بصوتٍ مكتومٍ كأنه همس:

– طُعنتُ بسيوفٍ كثيرةٍ.

– ....

– انك بلا سيف.

سكنتْ لحظة ثم تابعتْ بنبرةٍ مكترثةٍ:

– طعنوني بسيوفهم وهم عراة، توحدتْ بهم وهم يطعنون كان حينها العالمَ مع دفقاتِ طعناتِهم النُجْل، يتوقف. يسكن لا أراهُ. لا أسمعهُ. أحِسُ به مثلَ بحرٍ ازرقَ تُغرقِني دفقاتُه "طعناتهم"

بهذا الشذري الرجراج،اعبر برجرجاتهم "طعناتهم" بواباتِ العالمِ إلى مدنِ الأحلامِ، أصلُ عوالمي "أحلامي" وهمْ فوقيَ يطعنونني بيأس. احلمُ. احلمُ بأملٍ. فجأةً يتوقفون عن الطعن. عندها اتاوهُ باكيةً على كوني غادرتُ مدنَ "أحلامي" مرغمةً، لهذا أجددُ رحلاتي بالبـ......

قاطعتـُها قائلاً:

- بالبغاء.

رَمَشَت بسرعةٍ، نظرتْ في وجهيَ، كانَ في نظراتِها صوتٌ اعرفهُ جيداً، غامتْ عيناها بأسفٍ ساخنٍ بكرٍ، سكتتْ لحظات ثم قالتْ بابتسامةٍ متكلفةٍ ارتسمتْ على شفتَيها عاكسةً احتقارها لي:

- حُبك سببَ عهري.

كتمتُ دهشتي، كان قلبي حينها يلكِزني ألماً لتواطئي، قلتُ بلهجةٍ حنون: آسف.

اكملتُ محاولاً تغييرَ الموضوعِ بصوتٍ حامضٍ، قلتُ:

- لولا الشهواتُ لما وِجدَ وعاشَ الانسانُ.

هزتْ رأسَها قائلةٌ:

- تراني واراكَ بالشهواتِ.

قلتُ:

– كانوا يضاجعونَك بسيوفِهم. لا بارواحِهم.

كانت تتفحصني بوقاحةٍ، انغلقتْ عيناها عندما التقتْ عيناىَ عينيها، سأَلتنيَ مغمضةَ العينينِ بصوتٍ مضطربٍ:

– أنتَ تدركُ ان لا ارواحَ لهُم مثلكَ.

قلتُ:

– من يملكُ روحاً لا يملكُ سيفاً طعاناً.

حدّقتْ بي بعنادٍ، عيناها تشعان عداءً قالتْ بخشونةٍ وبرودْ:

– أنتَ تدركُ في داخِلك أن لا سيفَ لكْ.

انغرز في اذنيّ عواءُ بنات آوى، قلت مثل تلميذٍ مشاغبٍ ضُبط متلبساً:

– خير... خير...

شرحتُ لها اعتقاداً شعبياً مفادهُ: اذا سُمِعَ عواء بنات آوى في مطلع العام فذلك مدعاةٌ للخير والفألِ الحَسَنِ وبالنتيجة يعني ان عامنا هذا عامُ يُمْنِ وبركة. اضطجعتُ فوقها ضممتـُها إلـيّ بقوةٍ وذراعيَّ تحتويانِها من ظهرِها، قلتُ لها تحت إلحاح نظرتِها القاسية المعانِدة بلهجةٍ داعرة:

– سيفي قويٌّ منتصبٌ. هاكِ.

قذفتني بعيداً عنها، نهضتْ، تناولتْ حذائي، هجمتْ على الهرِ الكبيرِ "عاريةً" كان يلتهمُ قـُطيطَة من قطيطاتِها، وامُهم القطةُ الكبيرةُ تدافعُ عنها ببسالة، صحتُ بها بمرحٍ بادٍ:

- هاكِ سيفيَ اضربيه به.

استدارتْ نحويّ قاذفةً اياي بحذائي، ياه، كان عرُيها كثيفاً وشهياً وحاسماً مثل حليبٍ طازجٍ، صرختْ بصوتٍ عذبٍ ومرتعش:

- الأنثى هي الأساس.

صحتُ بغطرسةٍ كي أشجعَها:

- سيفُ الرجل هو الأساس.

قالتْ بغضبٍ وهي تعضُني في زنديَ الأيمن:

- الأنثى هي الأساس. إنها المخلوقُ الكاملُ. لأنها من تملكُ رحماً، لقد خلقها **الله** محِبةَ للحياة مثل قطتي التي تدافع عن قطيطاتها، وخلقَ **الله** آدم كي يقتلَ مثل الهرِ الكبيرِ، يحدد من نسلي، نسل هذه الحياة الدفاقة.

نهضتُ اليها، ضممتُ عريَها الى عريِّ، كان قلبُها يخفقُ بشدةٍ مثلَ قلبي، سيفي منتصبٌ خارج غمده، انتقلَ قلبي ألى جوارِ قلبِها هصرتـُها، بيدي، ضممتـُها لنكون واحداً بقلبين، بدتْ عيناها ساطعتين، كانتا سومريتين تنبُضان بإشعاعٍ غريبٍ لا مثيل له، كتلتا مرمرٍ أسودٍ..

تناديـاني، تطلبـانني.. تنفثـان شوقـاً يتـألق تحت أهدابـها الطويلـة المقوسّة، كانتْ ليلـةً نديـةً طرّيـةً أنعشتني طرواتـُها،سألتـُها:

- لمـاذا الرجلُ يُفرغُ الداعرةَ من محتواهـا ؟

كانت عينـاهـا تبرقـان عـاكستين ألتمـاعَ ألقمر، راحت تنظر الى لون القمر المخسوف خلال نـافذتها، كـان برتقـاليـاً قـاتمـاً، قـالتْ:

- نحنُ " العـاهرات" في المنطقةِ المعتمـةِ من الحيـاة.

أذن. القَيِمُ تَنْبعُ من عندنـا وليسَ من المنـاطق المضيئة؛ منـاطق التجـار.

قلتُ محـاولاً تغييرَ الموضوع:

- لا تنظري نـاحية القمر المخسوف، فَلسوفَ تَظَلينَ عـانسـاً "بـائرة" بلا زوجٍ، هذا مـا كـانتْ تردِدهُ جارتـُنـا على مسامِع بنـاتِهـا السبعْ.

رحنـا نضحكُ، اثـارنـي ارتجـاجُ نهديها الثـائرين مثل ارنبين فـارين. شئت أن أعَلِمَهـا كيفَ أنَ سيفَ الرجلِ هو: ألاسـاس. أستللتهُ من جرابه، توتر حدَّ الانفلاق، ضممتـُهـا ألي بشهوة عنيفة، سافر لساني في بهو فَمِهـا الشهي، فجـأةً توقفتْ الموسيقى، بثَ المذيـاعُ بلغةِ كسولْ: "يـاسمين" الفلسطينيـة كـان مهرهـا بندقيـة M16 لكي تقـاتلَ بهـا العدوَ الصهيوني.

المذيعُ ينهقُ بآليةٍ لا مبالية: "صائب عريقات" يحذر من تصريح لارئيل شارون عن ارض الأشواك(*).

ثانيةً مات سيفي، فرددتهُ إلى جرابهِ، العنّة تطاردُني، كوفي عنان جمعَ كلَ زعماءِ العالمِ ووضعَهم في علبة الكبريت النيويوركية وراح يقرع ناقوس السلام مردداً:

" لا داعرات بعد الألفية الجديدة "

" سندخلُ الألفية بعالم خالٍ من الداعرات ".

تذكرتُ المرأة الوحيدة التي كانتْ سبباً في حدوثِ كل الخطايا: حواء. حرضتُ زعماءَ العالمِ على التصفيقِ والناسِ على الزغردة كنتُ معنياً بذلكَ الفرحِ، صدقتهُ، فرِحْتُ أوزعُ القُبَلَ على جسدِها اللذيذِ. أُمْطِرُها بالقبلات، اعتليتُها، مثلي فعلَ الهرُ الكبيرُ امتطى قطتَها. اعتلاها. عضها من رقبتها بحرّقة، هي تموء وهو يموء، ركبتها، وأنا فوقها رحت أتشمم عطرها واقبلها تحت إذنها اليسرى، هي تئنُّ وأنا أأِنُّ

....

....

---

* ارض الأشواك: تحالف معروف بين شارون وباراك والتي تنص على البدء فوراً بنشر قوات الجيش " الإسرائيلي " تدريجياً في المناطق الحيوية وأحكام السيطرة عليها، وإقامة مواقعَ عسكريةٍ داخلَ المناطق الخاضعة للسلطة الفلسطينية وتحويل الحواجز إلى معابر رسمية.

أقف داخل دائرة محيطها عيون أهـالي البلدة، سيفي بيدي أنشد مردداً نداء نزار قبـاني لخـالد بن الوليد:

((ياإبنَ الوليد ألا سيف تؤجره

فكل اسيافنا قد أصبحت خشباً))

تحدّق بيّ عيونٌ حصلت على مواقعَ جيدةٍ لرؤية ضرب أعناق "المومسات"، عيونُ رجالٍ مخطوفة وأخرى لامبالية بوجوهٍ كامدةٍ قاسيةٍ تتهمني وأخرى مغبرة تساندني، عيونُ نساءٍ مجروحةٍ يائسةٍ، عيونُ أطفال ترْقبُني بفزعٍ بادٍ، عيون بغايا محبطةٍ ناظرةٍ ناحية سيفي وأخرى ساخنة ناظرة ألى ألارض، أثرياء وفقراء، الرجالُ بِملابسَ رمادية، نسوةٌ يرتدين العباءآت السود، صبيةٌ ومراهقون ينتعلونَ أحذيةً رياضيةً ضخمةً، رجالٌ بدينون ونساء بدينات، رجـالٌ نـاحلـون ونسـاء ناحلات، رجالٌ طوالٌ ونسوةٌ طويلات، رجالٌ قصارٌ ونساءٌ قصيرات، أجتذبتْ الضوضاءُ نسوةً رُحنَ يُخرِجنَ رؤوسَهن من أبوابِ بيوتهِن يتصايحن على أطفالهن ذوي الوجوه القذرة. لا أدري ! لماذا رأيت في وجوه الأولاد التي تطالعني لوعةً مشعةً تُشْبهُ لوعةَ الداعرات ؟

حواملُ تجمعنَ امامي مثلَما تجتذب كومةُ سكّرٍ سربَ ذبابْ، جاء أهالي البلدة مسرعينَ الى مركزِها حاملينَ لافتات كُتب عليها:

((تحّية إلى إبليس ضارب أعناق الداعرات)).

معاقون من فئاتٍ مختلفةٍ وبدرجاتِ عوقٍ مختلفةٍ ؛ عُمْيٌ عيونُهم خزفيةٌ باردةٌ، خرُسٌ عيونهم دامعة ساخنة، عُرجٌ عيونهم مملوءة بالغبار، طرْشٌ عيونهم مخطوفة أشبه ما تكون بعيون الذين اعدموا، مرضى وجوههم صفر كالحة، عجزة بملابس رثة، أدير عينيّ ناحيةَ حشودٍ يزعقُ بهم سوّاقُ سياراتِ عطلها ألازدحامُ، شحاذون يشحذون يطلبون الصدقات، غرباء يستمتعون بما يشاهدون، نسوةٌ يبكين بسبب ما يشاهدنَ، جنود يعلقون بصلافةٍ على ما يروون، بدتْ شمسُ العصر متعبةً مثلَ عاملٍ يؤوبُ من مصنعهِ متعباً، رسمتْ اخرُ ذؤاباتِها ظِلالاً، فتيةً بمظاهر مخنثين يضحكون مثل الداعرات يتراجع مرضى حشدُهُم أمام هَروات الشرطة، بينما النسوةُ وخصوصاً الحواملُ ثابتات في أماكنهن يُطلِقنَ باتجاهي عيوناً ناقمةً، سُررتُ كثيراً لأنني وضعت يدي على جمهورٍ طازجٍ ومنافقٍ من المتفرجين، الناسُ دائماً يُؤثِرونَ السلامةَ، قضاءٌ وقدرٌ، ينتظرون ما أصنعه بهم، وقفت أمام العاهراتِ وجوههن بلونَ الجص صُفرٌ شاحباتٌ بدأت لحظاتُ الغروب تعزف موسيقى ألوانها النارّية، كنَ واجماتِ ملتهبات متيبسات ينتظرن سيفي، نظراتهُن مرتابة مفعمة بيأس مرّ، بيدي سيفيَ الفولاذي المصقول الذي شغلت على صفحتهِ بحروفٍ من فضةٍ مذهبةٍ، أسمي: إبليس. ألقت عليهن أعمدةُ الكهرباء أضواءها الشاحبة رحت ابتسمُ للمعان معدنه البارد وهو يرتفع عالياً، ومض نصله ببريقٍ خاطفٍ، تم كل شيء بسرعة حتى إن أولاهن في الصف لم تصرخ، ولم تصدر عنها

سوى حركةِ ذهولٍ واستنشاقةٍ أخيرةٍ، نزلتْ رؤوسهنَّ بتثاقل رعباً، ألتقطتُ رأسَ الداعرةِ ورحتُ أعضُ انفها صارخاً بوحشية: خائنة. جاءت نظراتي على تمثال الحبوبي فأدار وجهه البرونزي مشمئزاً من فعلي، خلفه كثر عدد اللافتات المرفوقة بـ: "تحيّة إلى إبليس قاطع أعناق الداعرات". طلب رجال الشرطة منهن رفع رؤوسهن، رفعنها محدقاتٍ في الجمهور السميك، لحظات ووجدتُهن يرنين برهبةٍ ناحية سيفي مثل زهرات دوار الشمس، أجسادُهن براكين نار صارت تنفث عرقاً زنخاً، اسمعُ بوضوحٍ أصداءَ قلوبَهن تنغرز بقلبي قبل إذني، وجوههن ذابلةٌ حركاتهن واجفةٌ متشنجةٌ، نظرن إلي نظراتٍ مكروبةٍ بالكراهيةِ، الكراهيةِ البائسةِ، عيونهُن أرقةٌ مفعمةٌ بالاحمرار، محاجرهُن أتسعت زرقتُها، آوووه داعرتي بينهن، صنعتْ أضواء أعمدة الكهرباء بإشعاعاتها الصفرالشاحبات سماءً ثانيةًفوق الساحة، سماءً صيفيةً، حرّكتْ داعرتي رأسَها حركةً لائذةً مستكينةً مستنجدَة بي، رأيتُ على جبهتها حبّاتِ عرقٍ طريةٍ كثيفةِ البلل، شعرتُ بكثافةِ الضوءِ المصوب على قطرات العرق التي سالتْ فوق ماكياجها ألرديء، خدشتهُ، شوهتهُ، توارتُ الشمس خلفَ الأبنيةِ المحيطةِ بالساحةِ، همتْ ألوان الحمرة تغادر، ثم الزرقة، أعقبها البنفسجيُ يزحف في سماءِ البلدةِ عاكساً على صفحات الإسفلت الناقع آلاف الاشعة الملونة المتماوجة، الواناً ناريةً حيةً، خمريةًطريةً كثيفةً، ريانةً متوهجةً فكان بحق مساءً ارجوانياً اليفاً، تحرّكتْ داعرتي بعنفٍ محاولة فكاك وثاقها، فأنفلت بتأثير

الحركة المفاجئة زر ثوبها، وسطع شعاعٌ خمريّ عكس جذري نهديها الهاربين من اعتقال ثوبها الضيق، تصرخ بي مستجدية:

- هل تتخلى عنّي ؟

تقدّمت خطوةً نحوَها، المسافةُ بعيدةٌ، بعيدةٌ، خطوتُ خطوةً أخرى، مازالتْ نائية، ثم اعقبتـُها بنصفِ خطوةٍ، وعندئذٍ رأيتُ عينَيها تصرخان مستغيثتين، أجبتـُها:

- لقد تخلّيتِ عن نفسكِ، ليس بأمكاني مساعدتُك. زعقت:

- ولكنني حبيبتـُك ؟!

صمتُّ ولم أُجِبْها، بحرقةٍ تهدجت باكيةً:

- كانت حياتي كُلها ملكاً لكَ.

قلتُ:

- حاولتُ كثيراً ان اصنعَ منكِ انسانة.. انسانةً لها كرامتـُها.

قالت:

- حَكِّمْ قلبك.

قلتُ:

- لقد سقطتْ عنكِ ورقةُ التوت.

ترجتْ:

- أسأل قلبَك.

قلتُ:

- لا قلبَ لإبليس.

صَمَتَتْ، فقلتُ لها:

- لا ترهني رقبَتكِ بقلبي.

ندتْ دمعةٌ ساخنةٌ من عينيها السومريتين العتيقتين، وهي تبكي، غَـرَزتْ عينيَها في عيني كانتْ تنبثق من عينيها نظراتُ ذعرٍ أدركتُ لحظَتها انها تْدرِك الذعر نفسه في نظراتي، السماء في احتضارِها الأخير مثل برتقالةٍ، غمَرَنا الغروبُ الأرجوانيُ الدافيء، قالتْ بحسرةٍ:

- حاولتُ أن اصنَع منك حبيباً لكنني فشلتْ.

كان وجهُها في تلك اللحظِة ترتسمُ مرفرفةً عليه ابتسامةٌ متواطئةٌ باردةٌ، قالتْ:

- سأفضحك.

وجدتُ نفسي مجبراً على إخفاء تمزقات قلبي، تذكرت صلواتي التي تلوتـُها تحتَ قدميها، حياتي فوقَ كل اعتبار، حياتي التي مارستُ فيها دوري من غيرِ تمثيل، كنت الحقيقي الوحيد في مسرحية الحياة الطارئة، كان دوري فيها حقيقياً، دور إبليس، ذاك الحبيب المزوّر، لديه جرذٌ صغيرٌ ينبض بين اضلاعه أنه: القلب. وان ملكت قلباً محباً فذلك ميعاد موتي، قلتُ:

- المسالةُ بكل بساطة يا داعرتي قطعُ رأسك استمرارٌ لحياتي.

زمّت شفتيها مُعلنَة:

– رأسي رهن سيفِك. اضرب.

تقدمّتُ خطوةً نحوَها، المسافةُ بعيدةٌ، نائيةٌ، خطوت خطوةً ثانية، مازالت نائيةً، ثم اعقبتـُها بنصفِ خطوةٍ، عندئذٍ رأيت عينيها تصرخان. تستغيثان. تنتفضان دموعاً تفيضان وسط هذا الهرج، دموعُ طفلةٍ تنسابُ على وجنتيها بسكون. احسستُ ببرودة، توقف نَفَسي. لا مفر، استجمعتُ شجاعتي، تنفستُ بعمق، رفعتُ سيفي، آلمني زندي من اثر عضتِها. لكن لابأس، راقبته يرتفع بعينين منتبهتين، ارتسمتْ على معدنهِ البارد صورتي وبان تحتها اسمي المشغول بحروفٍ مشعةٍ من فضةٍ مذهبةٍ:

"إبليس".

غادرني مرتفعاً رافقه هبوبُ رياحٍ شماليةٍ مغوّيةٍ ذكرتني عندما وسوست في صدر المنصور(*)... فخطط لقتل عمه مع جاريته، لحظة انخفض سيفي مسرعاً ارتسمت صورتها على صفحتهِ الفضيةِ، وجدتُ في تعابير وجهها صورَتنا حيةً من تحسس عينيها لبرودة معدنهِ حتى خطرَ لي انها

* أراد المنصور التخلص من عمه عبد الله بن علي وهو معتقل عنده فأوعز إلى احد أتباعه أن يدبر طريقة لذلك، فدخل على عبد الله ومعه جارية، فبدأبه وخنقه حتى مات والجارية تنظر، ومده على الفراش. ثم اخذ بالجارية يخنقها فقالت: ياعبد الله قتلة غير هذه. فكان هذا الجلاد يقول: ما رحمتُ أحدا قتلتهُ غيرَها فصرفت وجهي عنها وأمرت بها فخنقت ووضعت معه على الفراش وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمتعانقين ثم أمرتْ بالبيت فهدم عليهما. ثم أحضرنا القاضي ابنَ علام وغَيره فنظروا إلى عبد الله والجارية متعانقين على تلك الحالة ليشهدوا إنهما ماتا تحت أنقاض الدار عندما كانا متضاجعين.

تستذوقُ طعمه على رَقبتها، وما تشعر به ازاء الذي سيأتي بعد عُشْرٍ من الثانيةِ عنيفاً. حاداً خاطفاً. هيّناً طائعاً، ومنقذاً من الألمِ، اثناء ذلك عبرت جسدي رعشـــةٌ كثيفـــةٌ غليظـــةٌ، بدأت روائـــحُ المتجمهرين "المتفرجين" تتصاعدُ من حولي كالغبارِ غليظةً شاهدتُ حرارة كثيفة سميكة صفراء تطال الوجوهَ الصفرَ التي تطالعنيَ وأنا أوسوس في صدور المتفرجين ان يرفعوا ملابسهم الداخلية البيض احتجاجاً مثلما وسوست في صدر ابن قريتنا "سيد كاطع" لبسالته وشجاعته أن ينزل علم الملكية مِن على قصر "الزهور" أبّان قيام الجمهورية عام 1958 بعد ما فشل كُل أقرانهِ الجنود فعَلَها برُغم غزارةِ الرصاصِ المنصبِ عليه، فبدل أن يرفعوا بوجهي ملابسَهم الداخلية راحوا يَتراجعون متفرقين زُرَافات. زُرَافات، كنت احسب أن لسيفي معارضيه. لكن المعارضَ الوحيد له كان:ظلي. كررتْ تحريضها لي بتكشيرةٍ معلنة:-

- اقطع رأسي بسرعة فحياتنا قصيرةٌ.

نحرتُها. أجل ! نحرتُها، وكنست احتجاج شفتيها المزمومتين بحركةٍ متقنة من سيفي تلقفتها رقبتها فكأنما كان سيفي يعانقها لحظة نحرها، كان خلفَها بالضبط تمثال الحبوبي(*).. ينتصب أخضر ادكن

* لا اعرف لا شعورياً كلما كتبت قصة ياتي الحبوبي دائماً بارادتي ودونها وينسل الى جسد القصة محتلاً فيها مكانه الذي يشاء. اضطر لتركه لأنه " الشاهد" لما مررنا به وما نمر به تمثال الحبوبي الذي يتوسط " قلب " مدينتي " الناصرية " اصبح مزاراً مفتوحاً في سويداءِ المدينةِ، في قلبـها يدورُ النـاسُ حوله لا شعورياً، ولا يعرفون انهم يقومون بطقس لا يعرفه إلا الذين أدمنوا المدن المحفورة في الوجدان. بالنسبة لي، انه يوحي بان " السومريين " الجنوبيين يقومون بمراسيمِ الحَجْ، حجٍ من نوعٍ مثيرٍ، وزيارةٍ تتحقق في اليوم الواحد عشراتِ المرات.

بيمنـاه عكازته "عصـاه". اقسمُ **بالله**، انـه حالمـا "نحرتها" ارتعشتْ شفتا تمثال الحبوبي ومال بجسده على عصاه محتبساً ألماً مريعاً عصف بقلبه، أطلقتْ "داعرتي" صرخةً أخيرةً عاليةً طويلةً، بدينةً ثقيلةً، حادةً قاطعةً ووحيدةً لكنها دون قرار مثلَ دائرةٍ تنداحُ إلى دوائر، حدثتني ذات مرة "داعرتي" عن جدتها التي أخبرتها عن طيران الرأس المضروب بالسيف، وانفصاله عن الجسد، يشعر الرأس المقطوع بأنه يطير، لحين استقراره على الأرض، أيقنـتُ حينَهـا بـأن رأس "داعـرتـي" كان يطيرُ.. يطيرُ، كانتْ تعيش طيراناً حقيقياً، حلماً حقيقياً، تعيش حلمها بنفسها. طيرانها. إنها تحلقُ. تحلقُ، استمرت صرختـُها من طيران رأسها عن كتفيها لحين استقرارهِ وجسدِها على الأرضِ سويةً وبوقتٍ واحدٍ وبدويٍ مكتومْ.